الفصل الرابع

الدعاية السياسية فى العصر الأموى

نشأتها وتطورها

تمهيـــد :

انقضى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وتبعه عهد الخلفاء الراشدين ، وكان فى حقيقته امتدادا لعهد صاحب الرسالة .. ولم يعرف التراث الإسلامى خلاله الدعاية من جانب السلطة . ولم يعرف الحاكم الذى يجعل من وظيفته القيادية منطلقا أساسيا للدعاية لشخصه كما لم يستطع التاريخ أن يفسر حركات أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب بأنها دعاية .. ذلك أن عهد الخلفاء الراشدين كعهد صاحب الرسالة كان يعتمد على الإعلام وليس على الدعاية .. ومن ثم نظر التاريخ إلى صدر الإسلام على أنه العصر الذهبى لهذه الأمة الإسلامية وذلك من حيث نقاء العقيدة واستقامة الطريقة . بل إن الدعاية على العكس من ذلك عرفت كأسلوب من أساليب مواجهة السلطة ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان ، حيث جدت أساليب جعلت المسلمين يجدون فروقا بين الحياة المثالية التى نعموا بها فى ظلال العهد الأول للإسلام وبين الحياة الواقعية التى يعيشون فيها .. وكان من أهم أثر هذا أن استعلن التذمر ودبت الفتنة وسخط كثير من المسلمين حكم الخليفة عثمان(٢٥) .

ومن أجل هذه الظروف ونعنى بها ظروف المعارضة التى أدت إلى قيام الثورات ظهرت الحاجة ماسة إلى الدعاية . ولم تكن من جانب عثمان لتبرير مواقفه التى سخطه عليها كبار الصحابة وإنما كانت من جانب بعض الصحابة وأبناء الصحابة وقد انتشروا فى مصر والشام وقاموا فيها وفى غيرها من الأقطار بهذه الدعاية

الخطيرة وهى الدعاية التى قتلت عثمان ابن عفان ، هى وحدها المسئولة عن قتله(٢٦)

وكان للدعاية السياسية فى طور النشأة خصائص هى :-

١. اعتمدت على اختلاق الوقائع وتشويه الحقائق

٢. استفادت من التقاليد العربية التى لا تعرف سوى لغة الحق ومنطق الإيمان فى استقطاب من استقطبتهم من المسلمين .

٣. استفادت من المقارنة بين السياسية الرشيدة التى سار عليها الشيخان أبو بكر وعمر . وهى السياسة المبنية على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيدان عنها قيد أنملة .. وبين السياسة التى سار عليها عثمان رضوان الله عليه والتى فرضتها الظروف المتجددة للدولة الإسلامية واعتقد هو أن مصلحة المسلمين تتحقق بها .

٤. استثارة الخلاف حول مشكلة الإمامة أو الخلافة واستثارة النفوس لمتطلعة نحوها من منطق دينى واستحثاثها للنهوض بمسئوليتها والعودة بالأمة إلى سيرة الراشدين أبى بكر وعمر . وبهذه الخصائص التى اتسمت بها الدعاية فى هذه الفترة المبكرة تحدد هدفها فى العمل على تكتيل القوى العاطفية والمصالح الفردية للأفراد بقصد خلق حالة من التشتت الذهنى والغموض الفكرى الذى يسمح لها بتسهيل عملية الإقناع بالأفكار التى تروج لها أولا ثم بإحداث استجابات معينة بخصوص موقف قلة من المسلمين من خلافة عثمان .

وكان الشخص الذى تحددت على يديه هذه الخصائص ووجه الدعاية لتحقيق أغراضها والتى نتج عنها مقتل عثمان والصراع السياسى فيما بعد هو عبد الله بن سبأ .. فهو الذى أذكى جذوة الصراع ووجهة المعارضة نحو الدعاية السياسية وبذر بذور الفتنة وظل بها يذكيها حتى اشتعلت . قال عنه ابن تيمية إنه أول من ابتدع الرفض.. وهى حميرى يهودى من أهل صنعاء وأمه أمة سوداء ولذلك يقال له : ابن السوداء .. وكان ممن غلت مراجل قلوبهم

ببغض الإسلام وأهله وعجزوا عن محاربته جهارا .. فلم يجد فرصة لحرب الإسلام الا أن يعلن إسلامه ويبطن الكفر والنفاق والحقد للإسلام .

وقد اغتنم لتنفيذ أحقاده فرصة سماحة الخليفة عثمان رضى الله عنه ولين جانبه وحقنه لدماء المسلمين وما استنكره عليه بعض الناس . فأظهر إسلامه وورعه وغيرته على دين الإسلام والتفانى فى الدفاع عنه وجعل يتنقل فى بلاد الإسلام يؤجج فيها نار الفتنة ضد الخليفة عثمان رضى الله عنه .

منطلقات الدعاية السبئية :

وكان للدعاية السبئية منطلقات ثلاثة لتحقيق أغراضها وهى :

١ ـ المنطلق العاطفى :-

لما كان المسلمون يحبون نبيهم أكثر مما يحبون أنفسهم .. جاءهم عبد الله بن سبأ من الجهة التى يألفونها ، وصار يصنع لهم الكلام فى تعظيم الرسول وأهل بيته .. ولذلك نادى بالرجعة وكان يقول لهم .. عجبت ممن يقول برجعة المسيح ولا يقول برجعة محمد ويقول : عجبا لكم أيها المسلمون يكون فيكم أهل بيت نبيكم ثم يقصون عن أمركم . إلى ما يماثل هذا الكلام الذى يسهل قبوله لأنه جاءهم من قبل تعظيم نبيهم ورفعة مقامه على سائر الأنبياء ثم استهجان ترك آله وإقصائهم عن أمر خلافتهم .

وقد روج لهذه الفكرة أثناء إقامته بالبصرة .. وعندما طرد منها . ونزل مصر زاد عليها أنه كان لله ألف نبى ولكل نبى وصى وكان على وصى .. ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء .. ثم قال .. من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ووثب على وصية على وتناول أمر الأمة .. ثم قال بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق .. وهذا وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أميركم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتستميلوا الناس وأدعوهم إلى هذا الأمر (٢٧) .

٢ ـ المنطلق النفسى :-

وقد اتخذ عبد الله بن سبأ هذا المنطلق لاجتذاب الأفراد الذين فى نفوسهم من عثمان .. وقد وجد ضالته فى مصر .. حيث يقيم فيها كثير من الذين يخالفون عثمان .. فتوجه إليها وتظاهر بالعلم والتقوى حتى افتتن به الناس فبدأ يروج لمذهبه ومسلكه ونجح فى اجتذاب محمد بن ابى حذيفة " وكان يتيما ربى فى حجر عثمان . وعندما ولى عثمان سأله عملا فلم يوليه .. وسمح له بالخروج إلى مصر وجهزه من عنده وحمله وأعطاه (٢٨) . فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه بعد أن منعه الولاية . كما اجتذب إليه " محمد بن أبى بكر وكان من أشد الناقمين على عثمان وذلك أنه لزمه حق فأخذه عثمان من ظهره . ولم يدهن .. كما كان طامعا فى الولاية(٢٩)

أما فى المدينة فلم يبذل جهدا كبيرا فقد كان بها ناقمون على سياسية عثمان وخاصة باقى أعضاء مجلس الشورى وهناك من هو حاقد على عثمان لأسباب تخصه .. وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك . وكانت تكفى الكتب التى يرسلها السبئيون من الأمصار المختلفة إلى المدينة ليكثر الحديث فى عمال عثمان وتنتشر الشائعات فتتأثر النفوس ويزيد السخط .

٣ ـ المنطلق الإيمانى :-

وكان مدخلا لعبد الله بن سبأ إلى نفوس بعض كبار الصحابة ممن عرف عنهم حبهم للعدل والخير وحرصهم على الحق .. جاء عبد الله بن سبأ إلى أبى ذر بالشام ، فقال : يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله ألا أن كل شئ لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر . ألسنا عباد الله والمال ماله.. والخلق خلقه . والأمر أمره .. قال فلا تقله قال فانى لا أقول إنه ليس لله . ولكن سأقول مال المسلمين .. ثم أتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له أبو الدرداء من أنت أظنك يهوديا .. ثم أتى عبادة بن الصامت فتعلق به وأتى به معاوية فقال

هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر ثم أقام أبو ذر بالشام وجعل يقول يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية الى عثمان بذلك ، فأمره عثمان أن يجهز أبا ذر فأرسله .. فلما قدم عليه ورأى المجالس فى أصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار . ولما دخل على عثمان قال يا أبا ذر ما لأهل الشام يشكون ذرب لسانك فأخبره أنه لا ينبغى أن يقال مال الله ولا ينبغى للأغنياء أن يقتنوا مالا فقال يا أبا ذر على أن أقضى ما على وآخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الإقتصاد والزهد .. وكان هذا الرأى متمكا من أبى ذر وقد وجد الخليفة أنه رأى قائل فأمر أبا ذر أن يخرج الى الربذة فيقيم بها .. ويقال ان أبا ذر هو الذى طلب منه ذلك فسيره وأجرى عليه رزقا(٣٠) .

وعندما اطمأن عبد الله بن سبأ الى وجود أنصار له فى الأمصار المختلفة بدأ خطة العمل التنفيذى على قاعدتين :-

(أ) الاغراق الدعائى .

(ب) المبادرة بالفعل .

أولا الإغراق الدعائى :-

وكان هدفه من أسلوب الاغراق الدعائى هو الوصول بأفكاره الى الأمصار الإسلامية المختلفة ، والإبقاء على روح التذمر والسخط واستمرارها قائمة الى اللحظة التى تتحول فيها الى سخط عام وثورة عارمة مدمرة .

ولتحقيق سياسة الإغراق " كان أتباعه فى كل مصر يكتبون إلى المصر الآخر بما عندهم فيقرأ كتابهم على العامة علنا فيستغيثون بالله مما حل بأهل ذلك المصر . ومن ذلك المصر ترسل الكتب إلى المصر الأول فتقرأ على العامة فيستغيثون بالله مما حل بأخوانهم ويقولون نحن فى عافية ممن ابتلى به هؤلاء الناس .. حتى أمكنهم

أن يوغروا صدور العامة التى تجتمع عليهم . وليس لما يكتبون صحة "(٣١) . وكانت هذه الكتب تصل المدينة مما أدى الى ضجر الناس وفشو القالة حتى تأثرت أيضا نفوس الكثير منهم "(٣٢) .

ونتيجة لهذه الدعاية المدبرة ولسياسة الإغراق الدعائى التى خطط لها وأشرف على تنفيذها عبد الله بن سبأ .. ونتيجة لاعتماد عثمان بن عفان رضوان الله عليه فى مواجهته لهذه الدعاية على الإعلام . حيث قدم الحقائق فقط ، والمعلومات الصحيحة .. وبين وجهة نظره واعتمد على حسن إدراك الناس وذكائهم فى تقدير هذه الحقائق وفهمها .. بعد أن قدمها لهم وأعقب ذلك بشرحها وتفسيرها واعتقد أن ذلك كاف ونتيجة لهذا تفجر الصراع واستمر .

أما موقف الناس من عثمان فكان كما يلى :- " جميع المهاجرين كانوا خصوما لعثمان (ماعدا حاشيته) وكذلك جميع الأنصار كانوا أعداء ماعدا بضعة نفر منهم زيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وأبو أسيد الأنصارى ، ثم إن معظم أهل الأمصار كانوا مع خصوم عثمان وخصوصا فى مصر والكوفة والبصرة ، وبرر هؤلاء سخطهم على عثمان بأنهم لم ينتخبوه ، وإنما انتخبه نفر من المهاجرين (رجال الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب) استبدوا الأمر دون جميع الناس ونقم على عثمان نفر من رؤوس أهل المدينة كما نقم عليه على وطلحة والزبير رضوان الله عليهم لأنهم كانوا يطمحون الى الخلافة ففاز عثمان رضى الله عنه بها دونهم ، ونقمت عليه السيدة عائشة رضوان الله عليها لأنها كانت تريد الخلافة لأخيها محمد .. وكان من المنتظر أن يخف معاوية لنصرة عثمان وهو نسيبه ووليه فلم يفعل .. كان معاوية يطمع فى الخلافة ولم يكن يرجو أن يصل إليها إلا إذا زحزح عثمان عنها "(٣٣).

أما بالنسبة لخطة عثمان رضوان الله عليه فى مواجهة هذا الدعاية فتتخلص فيما يلى :-

١." أمسك بزعماء أهل الكوفة من الذين أظهروا النقد والطعن عليه وعلى سعيد بن العاص وأخرجهم من الكوفة إلى الشام ليبعدهم عن مصرهم ويتخلص من شرهم . وعلى رأسهم الأشتر بن مالك بن

الحارث النخعي" (٣٤) . وكان رأى أهل الكوفة فى عثمان كما صوره الأشتر فى رسالته قال " من مالك بن الحارث الى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنة نبيه النابذ لحكم القرآن وراء ظهره(٣٥) .

٢. سير عثمان مندوبين عنه إلى الأمصار لاستقاء أخبارهم ومعرفة ما يحدث فيها . " فسير محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام . وعمار بن ياسر الى مصر . فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم. أما عمار فقد ورد الى عثمان كتاب من عبد الله بن سعد بن أبى سرح أمير مصر يخبره فيها أنه قد استماله قومه بمصر . وانقطعوا إليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمزان وكنانة بن بشر "(٣٦).

٣. أرسل عثمان فى طلب ولاته ليجتمع بهم لعله يجد سبيلا لتمكين سلطانه وإيقاف ذلك التيار الذى يوشك أن يجرف كل ما يعترضه .. وينفض اجتماع الخليفة بعماله دون أن يتخذوا قرارا معينا لوقف هذه الأحداث.

٤. الاستجابة لمطالب الأمصار . فقد أرسل الى أهل الكوفة كتابا محاولا استرضاءهم قال فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد .. فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لأفرشنكم عرضى ولأبذلن لكم صبرى ولأستصلحنكم بجهودى فلا تدعوا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة " وأرسلت نسخ من هذا الكتاب إلى الأمصار "(٣٧) .

٥. استرضاء زعماء المعارضة وخاصة محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر وكانا من أشد المعارضين له .. بالمال .. ولكن أحدهما لم يرض بذلك بحال من الأحوال .. بل أن محمد ابن أبى حذيفة أخذ الكسوة التى بعث إليه بها وقال للحاضرين من المسلمين " انظروا إلى عثمان كيف يريد أن يخدعنى عن دينى بهذه الكسوة "(٣٨) .

ثانيا : قاعدة المبادرة بالعمل :-

وبعد أن حقق ابن سبأ ما كان يرمى اليه من تأليب الولايات الإسلامية على عثمان وولاته وانضمام كثير من أصحاب النفوذ والجاه إلى صفوفه وكان لكل منهم أهدافه الخاصة به قام بتنفيذ خطته " وكاتب أهل مصر أشياعهم من أهل البصرة والكوفة واتفقوا على الشخوص إلى المدينة .. وخرج كل منهم فى ستمائة رجل توافوا خارج المدينة حيث اختلفوا فيمن يولونه الخلافة بعد عثمان فمال أهل البصرة الى الزبير وأهل الكوفة الى طلحة ورغب أهل مصر وعلى رأسهم ابن سبأ فى على بن أبى طالب وعمل كل فريق على أن يتم الأمر لمن وقع عليه اختيارهم دون غيره "(٣٩) .

وفى شوال من سنة ٣٥هـ (نيسان ٦٥٦) جاءت وفود الأمصار إلى المدينة تتظاهر بطلب الإصلاح . وكان أشد الوفود نقمة وفد مصر.. وعلى الرغم من محاولة عثمان احتواء الأزمة وإرضاء وفد مصر بتوليتة محمد بن أبى بكر عليها . إلا أن الأمور تطورت وخرجت من يده وخاصة بعد أن اكتشف وفد مصر وهم فى طريق العودة كتابا إلى عبد الله بن أبى سرح مختوما بخاتم عثمان يوعز فيه إليه بقتل محمد بن أبى بكر إذا وصل مصر .. فعادوا وحاصروا الخليفة واستمر حصارهم له أربعين يوما وفى ١٨ من ذى الحجة من سنة ٣٥هـ تسور القوم عليه الجدار وقتلوه(٤٠) .

وبويع على بن أبى طالب بالخلافة وكان كارها(٤١) لذلك . وببيعة على تحولت الدعاية السبئية من معارضة السلطة إلى التشيع لها وعلى رأسها على .. ووصلوا إلى درجة المغالاة حتى روى أن عبد الله بن سبأ قال لأمير المؤمنين على : أنت الإله حقا .. فأحرق من اتباعه خلقا كثيرا وكره حرقه مخافة الفتنة كما أشار عليه عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما.. وبذلك كان التشيع مدخلا جديدا للسبئية استهدفت منه تحقيق باقى أهدافها لمزج الدين الإسلامى بالعقيدة اليهودية ونشر الأفكار اليهودية والترويج لها .. وغرس الحقد والضغينة فى قلوب المسلمين ضد الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة وذلك لاستمرار الفتن والتناحر بين صفوف المسلمين

فينشغلوا بذلك عن الفتوحات الإسلامية وعن التمكين للإسلام فى الأرض.

أهداف الدعاية السبئية :-

استهدفت الدعاية السياسية لعبد الله بن سبأ من خلال هذا النشاط المشبوه الذى قاموا به تحقيق الأهداف الآتية :-

١. دس الفتنة بين المسلمين والتآمر على الخليفة الثالث عثمان بن عفان وشق عصا الطاعة له حتى يقع الحرج والمرج وتنقطع فتوحات الإسلام وينشغل المسلمون ببعضهم .

٢. غرس الحقد والضغينة فى قلوب الناس ضد أبى بكر وعمر وباقى الصحابة وخاصة من العشرة المبشرين بالجنة حتى لا يبقى للمسلمين تاريخ يمجدونه ورجال يفتخرون بهم ومثل عليا يقتدون بها .

٣. تكفير الصحابة كلهم سوى المعدودين منهم حتى لا يبقى الاعتماد والعمدة حيث أن أصحاب النبى الذين سمعوا من رسول الله القرآن وحملوه منه ورأوا رسول الله يشرحه ويفسره ويبينه بقوله وعمله كانوا كفرة مرتدين بزعمهم .

٤. ترويج العقيدة اليهودية التى تقول بالوصاية والولاية بين المسلمين ليقتتلوا فيما بينهم حول الامامة أو الخلافة .

٥. نشر الأفكار اليهودية كالرجعة وعدم الموت وملك الأرض والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق والعلم بما لا يعلم أحد .

أما قوى المعارضة الأخرى فقد أنحصر هدفها إما فى الرغبة فى الولاية كمحمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة أو الخلاف مثل طلحة والزبير بن العوام أو فى الرغبة فى استتباب الأمور وعودتها إلى ما كانت عليه على عهد أبى بكر وعمر .

وانتهت هذه المرحلة من تاريخ الدعاية بمقتل عثمان رضوان الله عليه .. وبايع الناس عليا بالخلافة فأخذت الدعاية السبئية شكلا آخر لتحقيق هدفها وهو التشيع لعلى رضوان الله عليه .. والمبالغة فى

ذلك حتى درجة ادعاء النبوة ثم ادعاء الألوهية له وذلك ليفتتن الناس به .

معاوية والدعاية ضد على :-

بولاية على رضوان الله عليه للخلافة " انتقل زمام الدعاية السياسية إلى معاوية . وكان معاوية يعد لنظام جديد هو نظام الملك الدنيوى .. وكان أنصاره طلاب دنيا ومال وجاه وكانوا يسمعون الحق كما يسمعون الباطل ولا يفرقون بينهما " وكانوا لا يعرفون غير الطاعة العمياء لمعاوية بن أبى سفيان : ولا يجيزون الا ما أجازه ولا يميزون معه بين ناقة وجمل "(٤٢) .

ولقد أطمع معاوية فى الخلافة أنه ظل حاكما للشام فترة طويلة وأنه كان أثيرا عندهم عظيم النفوذ . فقد ساسهم بالرفق ووسع عليهم فى الأعطيات والهبات وكان أعوانه من بنى أمية ليسوا قلة . فقد تولى معاوية دمشق لعمر بن الخطاب ثم ضم إليه عمر ولاية الأردن لما مات أخوه يزيد بن أبى سفيان ومازال بليهما معاوية حتى جاء عثمان فأقره عليهما ثم ضم إليه ولاية فلسطين بعد موت واليها وولاه حمص لما استعفى واليها . وبهذا صارت الشام كلها فى أمرة معاوية . وكان نجم معاوية صاعدا فطال عهده بالشام مدة عمر ومدة عثمان .. وكان معاوية سياسيا موهوبا عطف على أهل الشام ورضى عن سياسته الخليفتان فلم يفكر أحدهما فى عزله ولم يخش هو أن يعزل وبخاصة فى عهد عثمان إذ كان الولاة كثيرا ما يولون ويعزلون وليس أدل على محبة الشاميين لمعاوية من أنهم ناصروه على على .. ولم يشترك واحد منهم فى الثورة على عثمان أو محاصرة داره أو المشاركة فى قتله .

وقد استخدم معاوية الأموال فى دعايته ضد على بذلها لجذب الأنصار وجعل يطالب بدم عثمان ويحمل عليا جريرة مصرعه وينادى بأنه قريب عثمان وولى دمه وقد قتله الثوار مظلوما فلابد أن يثأر من قاتليه .

" وكان الشعار الذى اتخذه معاوية عنوانا على سياسته وهاديا له فى دعايته ضد على .. للوصول إلى الحق ينبغى أن نخوض كثيرا من

الباطل.. ومثل هذه الكلمة لا يمكن أن تصدر عن على لأن عليا لا يعرف غير الحق أو ما يعتقد أنه حق ولا يسلك طريقا غيره "(٤٣) .

ولذلك وجدنا الإعلام وسيلة الامام على أما الدعاية فكانت وسيلة معاوية .. والإعلام ليس له سوى طريق واحد هو الصدق ، أما الدعاية فطريقها أحيانا الصدق والكذب أحيانا أخرى بمعنى آخر كما قال معاوية " للوصول إلى الحق ينبغى أن نخوض كثيرا من الباطل "

ولهذا السبب بنى معاوية سياسته على الطعن فى أعدائه وعلى رأسهم على بن أبى طالب فى حين أن عليا كان لا يرضى لنفسه ولا يرضى له دينه وخلقه أن يبنى سياسته الإعلامية على الطعن فى أعدائه بنفس الطريقة التى سلكها معاوية .

حدث أن عليا سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام ممن اشتركوا فى واقعة صفين فقال لهؤلاء : " إنى أكره أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتهم ما لهم كان أصوب فى القول وأبلغ فى العذر وقلتم مكان سبكم إياهم .. اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم وأهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله .

كما استخدم معاوية أيضا الأحاديث النبوية فى دعايته ضد على ولجأ الى تفسير آيات القرآن تفسيرا يسئ الى سمعة على والتى سنتعرض لها فى الفصل الخاص بذلك.. فإن معاوية قد أعطى اهتماما خاصا لأسلوب الشائعات .. والمتأمل لكتب التاريخ يجد أن معاوية أشاع عن الإمام على صفات غير حقيقية وأخذه بعيوب ليست فيه .

وقد استغل معاوية جهل الرعية فى زمانه إذ كان العلم فى الشام حيث الأعوان الملتفون بمعاوية أقل منه فى الحجاز حيث كبار الصحابة وأبناء الصحابة الذين تألف منهم حزب على .

والدعاية ولو كانت قائمة على الباطل فى بعض الأحيان لها من التأثير على بعض النفوس والقدرة على قلب النظم والأوضاع ما للإعلام برغم أنه قائم على الحق . وعلى الحق وحده قبل كل شئ .

صحيح أن الإعلام من أمضى الأسلحة فى مقاومة الدعاية. والإعلام وهو وحده القادر على إسكات الدعاية وذلك بالكشف عما فيها من الكذب والزيغ عن الحقائق والبعد عن الصحة ومخالفة الواقع ،لكن الإعلام فى هذه الحالة لابد من أن يبذل له جهود كبيرة أضعاف ما تبذله الدعاية .. وبغير ذلك تكون الغلبة فى النهاية للدعاية .. وهذا هو الموقف الحرج الذى وقفه الإمام على من معاوية بن أبى سفيان

كان الإمام محوطا بقوم من أصحابه يعرفون أن لهم حقا فى مناقشته الحساب فى كل شئ وكانوا قلما يطيعونه فى شئ فى حين أن معاوية كان محوطا بقوم من أتباعه . وبلغ من أمر طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرته إلى صفين صلاة الجمعة يوم الأربعاء(٤٤) .

الدعاية وتأسيس الملك فى بنى أمية :-

تولى معاوية الخلافة بعد مقتل الإمام على بن أبى طالب وتنازل الحسن له عن الخلافة فى ربيع الأول سنة ٤١هـ (٦٦١م) وانتهت بذلك مرحلة من مراحل الصراع السياسى والدعاية وابتدأت مرحلة جديدة أشرس من سابقتها وأكثر عنفا وذلك للأسباب الآتية :-

١. آمن الأمويون بالدعاية وقدرتها . وكانوا على يقين من الدور الذى لعبته فى الوصول بمعاوية إلى سدة الحكم .. ولذلك وضعوا سياستهم لإبقاء بالحكم فى أيديهم مع ضرورة التفوق الدعائى .. وأعانهم على ذلك أنهم بحكم ممارستهم لفنونها وأساليبها ووسائلها أصبحوا خبراء فى ميادينها .

٢. تبلور الأحزاب السياسية القائمة وظهور أحزاب جديدة تصارعت حول قضية الخلافة وخاصة بعد أن جعلها معاوية ملكية فى مظهرها ونظامها .. فعادت الفتن وتأججت نيرانها واشتعلت الحروب بين الأحزاب المتصارعة على الخلافة ونشطت الدعاية السياسية للأحزاب. كل يسعى إلى تأكيد سلطانه وبسط نفوذه واجتذاب الأنصار والأشياع .

٣. احتياج معاوية وخلفائه إلى أن يبذلوا للناس سياستهم ويقنعوهم بها إذ كانت نفوس المحكومين فى قلق دائم مستمر وميل للخارجين ،

فكان الخلفاء وأتباعهم يبينون حكمهم وعدالتهم وإحساتهم للناس إن أسلسوا القياد وأخلصوا ، ويهددون وينذرون من يخرج أو يحيد عن الجادة .

وتتميز الدعاية السياسية فى هذه المرحلة بوضوح فلسفتها وأهدافها ووسائلها وأساليبها فى أذهان الموجهين لها .. واجتماع خيوطها فى قبضة الخلفاء أو الزعماء الموجهين للأحزاب المعارضه وارتباطها بالأفكار والتصورات الخاصة بكل حزب من الأحزاب السياسية المتصارعة كما أنها ارتبطت قوة وضعفا بشخصية الخلفاء والزعماء وبقوة الدولة .

وكان ضعف الدعاية الأموية ايذانا بانقضاء العهد الأموى . وخاصة عندما اعتمدت فقط على القوة العسكرية وذلك فى عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وعندما أيضا اتجهت الحركة العباسية إلى السرية والتنظيم فى العمل والتى أثمرت عنها الخلافة العباسية .

وبذلك انهت المرحلة الثالثة من تاريخ الدعاية السياسية فى الإسلام وبدأت مرحلة جديدة رابعة على يد العباسيين .

obeikandl.com

هوامش الباب الثانى

---

(١) المرجع السابق : ص ٣١ ـ ٣٢ .
(٢) د. محمد منير حجاب :- نظريات الإعلام الإسلامى . الهيئة المصرية لعامة للكتاب ـ الإسكندرية ـ ١٩٨٢ .
(٣) د. محمد منير حجاب :- مبادئ الإعلام الإسلامى ـ المطبعة العصرية الإسكندرية ـ ١٩٨٢ .
(٤) د. محمد مصطفى شحاته ، د. حسن الشاذلى :- العلاقات الدولية ـ محاضرات فى الفقه الإسلامى . دار الهدى ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ص١٨ـ٣٧
(٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون :- ٨٠٨ / ١٤٠٥ : ١٤٠٦ ـ المقدمة ـ مصر ١٣١١هـ . ص ٣٢٨ .
(٦) د. جلال الدين السيوطى ـ المتوفى ٩١١هـ ، تاريخ الخلفاء ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ بدون ناشر ـ بدون تاريخ ـ ص ٢٠٦ .
(٧) د. ابن الاثير :- على بن احمد بن الكرم ـ ٦٣٠ ـ ١٢٧٤ ـ الكامل فى التاريخ جـ٣ بلاق ١٢٧٤ ص ١٩٩ .
(٨) د. جلال الدين السيوطى :- مرجع سابق ص ١٩٢ .
(٩) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام له تاريخه ومذاهبه ـ دار الفكر العربى القاهرة ـ ١٩٦٥ص٨٥ .
(١٠) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام فى صدر الإسلام ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧١ ص١٩٨ .
(١١) د. سيد عبد العزيز سالم :- تاريخ الدولة العربية ـ دار النهضة العربية ـ
(١٢) د. عبد الرحمن بن خلدون :- مرجع سابق ص ٣٢٨ : ٣٣٠ .
(١٣) سيد أمير على :- مختصر تاريخ العرب ترجمة عفيفى البعلبكى ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط٤ ـ ١٩٨١ ـ ص ١٧٨ .
(١٤) عبد الرحمن بن خلدون :- مرجع سابق ص ٥٤٨ .
(١٥) عبد العزيز الدورى : مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ـ دار الشرق ـ بيروت ـ ط٣ ـ١٩٨٤ . ص ٦٦ ـ٦٧ .
(١٦) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام فى صدر الإسلام ص ١٩٧ .
(١٧) سيد أمير على :- مرجع سابق ص ١٧٨ ـ١٧٩ .
(١٨) د. سيد عبد العزيز سالم :- مرجع سابق ص ٦١٤ ـ ٦١٥ .
(١٩) ابن قتيبة ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم ـ ٣٧٦ ـ ٨٨٩) ـ عيون الأخبار جـ١ ص٥ .
(٢٠) الشيخ محمد الخضرى :- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة الأموية جـ٤ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(٢١) اليعقوبى :- (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب ٢٨٢ / ٨٩٥)
تاريخ اليعقوبى ـ مطبعة النجف ـ العراق ١٣٥٨ جـ٢ ص ٢٧٦ .
(٢٢) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٨٨ ـ ٩١ .
أيضا " " :- الإعلام والدعاية ص ١١٨ ـ ١١٩ .
(٢٣) اليعقوبى :- مرجع سابق جـ٢ ص ٢٨٣ .
(٢٤) جلال الدين السيوطى :- مرجع سابق ص ٢٠٠ .
(٢٥) المرجـــع الســـابق :- ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٢٦) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام والدعاية ص ١٧٠ .
(٢٧) المرجـع السابق :- ٢٠٢ .
(٢٨) الشيخ محمد الخضرى :- مرجع سابق ص ٣٧ ـ ٤٥ جـ٢ .
(٢٩) المرجـــع الســـابق :- ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٣٠) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام فى صدر الإسلام ص ٢٤٥ .
(٣١) الشيخ محمد الخضرى :- مرجع سابق جـ٢ ص ٣٦ .
(٣٢) المرجـــع الســـابق جـ٢ ص ٤٥ .
(٣٣) المرجـــع الســـابق جـ٢ ص ٣٧ .
(٣٤) د. عمر فروخ :- تاريخ صدر الإسلام ص ١١٨ ـ ١١٩ .
(٣٥) البلاذرى :- أنساب الاشراف جـ٥ ص ٤٣ .
(٣٦) لبلاذرى :- أنساب الاشراف جـ٥ ص ٤٦ .
(٣٧) الشيخ محمد الخضرى :- مرجع سابق ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٣٨) الطبرى :- الأمم والملوك جـ٥ ص ٩٦ .
(٣٩) د. عبد اللطيف حمزة :- الإعلام فى صدر الإسلام ص ٢٤٦ .
(٤٠) د. حسن إبراهيم حسن :- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى بدون ناشر ـ بدون تاريخ جـ١ ص ٣٦٢ .
(٤١) د. عمر فروخ :- مرجع سابق ص ١١٨ ـ١١٩ .
(٤٢) الطبرى :- الأمم والملوك جـ٥ ص ١٥٢ .
(٤٣) د. عبد اللطيف حمزة :- مرجع سابق ص ٢٥٣ .
(٤٤) المرجـــع الســـابق :- ص ٢٥٨ .
(٤٥) المرجـــع الســـابق :- ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣ .